

﴿ قال المؤلف - رحمه الله -: وَالِدَلِيلِ عَلَى مَوْتِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾ [الزمر: 30، 31].
 وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُوا يُبْعَثُونَ؛ وَالِدَلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَفِيهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾ [طه: 55]. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴾ [نوح: 17، 18]. وَبَعْدَ الْبَعْثِ مُحَاسِبُونَ وَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ، وَالِدَلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾ [النجم: 31].
 وَمَنْ كَذَّبَ بِالْبَعْثِ كَفَرَ، وَالِدَلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [التغابن: 7].

لما قرر الشيخ - رحمه الله تعالى - هذه الأصول الثلاثة وآخرها: معرفة نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - وذكر طرفاً يسيراً مهماً من سيرته، أخبر بأنه قد مات؛ وذلك لرفع شبهة من يدعي أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لا يزال حياً أو أن روحه تتحول، أو غير ذلك من الدعاوى الباطلة، بل نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - قد مات بنص الكتاب وشهادة الواقع ولا ريب، شأنه شأن بني آدم.

والدليل على موته قول الله تعالى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ

﴿ [الزمر: 30، 31]؛ فالموت أمر كتبه الله تعالى على كل نفس.

قال الله - عز وجل -: { كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ } [آل عمران: 185]؛ فلا شك أن الموت أدرك نبينا - صلى الله عليه وسلم - ولحق بالرفيق الأعلى، وشهد الناس بهذه الوفاة المحققة، بل إن الله تعالى قد قال في كتابه: { وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ } [آل عمران: 144]. فقد مات نبينا - صلى الله عليه وسلم - ولا ريب كما يموت سائر بني آدم.

وليس لبشر الخلد، لا النبي - صلى الله عليه وسلم -، ولا الحاضر كما يدعي الصوفية في مخاريقهم، بل قد مات كل من أخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه يموت، فإنه خرج على أصحابه ذات ليلة وقال: (مَا مِنْ نَفْسٍ مَنُفُوسَةِ الْيَوْمِ تَأْتِي عَلَيْهَا مِائَةٌ سَنَةٍ وَهِيَ حَيَّةٌ يَوْمَئِذٍ) (١) وعند الترمذي قال صلى الله عليه وسلم (أَرَأَيْتُمْ كَيْفَ لَيْلَتُكُمْ هَذِهِ عَلَى رَأْسِ مِائَةِ سَنَةٍ مِنْهَا لَا يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ أَحَدٌ) (٢). أي أن ذلك الجيل وذلك القرن يفنى كله لا يبقى منهم أحد. فلو فرض جدلاً بأنه كان أحد بعد على قيد الحياة فقد أدركه الموت ولا ريب.

(١) صحيح مسلم (2539).

(٢) سنن الترمذي (2251)، صححه الألباني.

هذه المادة لم تراجع على الشيخ - حفظه الله -

قال الله تعالى في هذه الآيات: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: 3]: هذا الاختصاص الذي يجري بين يدي الله - عز وجل - بين الأنبياء وأقوامهم هو الذي أخبر الله تعالى عنه قبل ذلك بقوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: 143]. وذلك قد بينه النبي - صلى الله عليه وسلم - بأنه يأتي النبي يوم القيامة فيشهد على قومه فيردون شهادته، فيقول الله تعالى له: أمعك أحد؟ فيقول: نعم، محمد وأمته. فيستشهدون فيشهدون أن أنبياء الله أو أن ذلك النبي قد بلغ رسالات ربه، فهذا الاختصاص حينما تحاول الأمم أو الأفراد التنصل من هذا المصير الذي ينتظرها، فيقع الاختصاص بين الأقسام وبين أنبيائهم؛ فيحسمه الله تعالى بإقامة الحجة عليهم.

قال: **وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُوا يُبْعَثُونَ**: كأن الشيخ - رحمه الله - لما فرغ من ذكر الأصول الثلاثة التي يُسأل عنها الميت في قبره رأى التأكيد على مسألة الإيمان باليوم الآخر، وإن كان قد سبق ذكرها فيما مضى ضمن مسائل الإيمان.

فقال: **وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُوا يُبْعَثُونَ**: يعني بعد موتهم، **يُبْعَثُونَ**: أي بمعنى ينشرون من قبورهم أحياء. وقد نطق بهذا ناطق الكتاب: ﴿رَعِمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثَنَّ﴾ [التغابن: 7]. هكذا أمر الله نبيه أن يُقسم بذات الله الشريفة: ﴿قُلْ بَلَى وَرَبِّي﴾ [التغابن: 7]. وهذا أحد ثلاثة مواضع يؤمر فيها بهذه الصيغة: ﴿قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثَنَّ﴾ [التغابن: 7].

وجاءت بهذه المؤكدات العظيمة، فالبعث حق، وفي الصحيح من حديث عائشة - رضي الله عنها - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً غُرَاةً غُرَاةً غُرَاةً بُهْمًا^(١))، حفاة: غير متنعين، عراة: غير مكتسين، غرلا: غير محتومين، بُهْمًا: أي ليس معهم شيء. أي أن الإنسان يرد بخلقه الكامل حتى القلفة التي تكون على رأس الذكر وتختن في وقت الصغر تعود مع صاحبها. ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ [الأنبياء: 104]. تبارك الله.

قال: **وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُوا يُبْعَثُونَ**؛ **وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [طه: 55]**: مرجع الضمير في الجمل الثلاث إلى الأرض، أمنا التي منها خلقنا، وذلك أن الله تعالى خلق أبانا آدم من قبضة من تراب الأرض - من سهله ووعره وأحمره وأسوده - ولأجل ذا جاءت أخلاق نبيه على أنحاء متفرقة، فمنهم السهل ومنهم الصعب، وألوانهم متفاوتة؛ لحكمة بالغة، فقبض الله قبضةً من تراب الأرض، وجعل فيها الماء فكانت طينًا، ثم بعد ذلك يبست؛ فصارت بعد أن شكلها الرب - سبحانه وتعالى - صلصالًا كالفخار، ثم نفخ فيها من روحه فاستحال خلقًا جديدًا.

قال: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ [طه: 55]: وذلك أن ابن آدم إذا مات دُسَّ في الأرض ووري الثرى، كما دل الله تعالى ابن آدم الأول الذي قتل أخاه على هذه السنة الكونية. ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُؤَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ [المائدة: 31]. فمنذ ذلك الحين علم الناس سنة الدفن، فيعود الإنسان ترابًا، تتحلل أجزاؤه،

(١) صحيح مسلم (2859).

هذه المادة لم تراجع على الشيخ - حفظه الله -

وفينى ولا يبقى منه إلا عجب الذنب وهو العصعص، فيفنى ابن آدم ولا يبقى منه إلا هذا الشيء اليسير الذي منه يُركب الخلق يوم القيامة، وكان هذا الموضوع يحتفظ بالصفات الوراثية لكل آدمي؛ فمنه يتركب خلقًا جديدًا حين يأذن الله تعالى بالبعث والنشور.

قال: ﴿ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾: أي من الأرض، لكن تلکم الأرض أرض مبدلة، هي ذات الأرض في مادتها لكنها على نحو جديد، فالأرض التي يبعث عليها الناس يوم القيامة تمد مد الأديم، مسطحة كالقرصة، ليس فيها معلم لأحد، لا جبل يُعلی عليه ولا واد يكتنه؛ قال صلى الله عليه وسلم (يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ كَقُرْصَةِ نَقِيٍّ قَالَ سَهْلٌ أَوْ غَيْرُهُ لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ)^(١)، وكما قال ربك - سبحانه وتعالى: { وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (105) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (106) لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا (107) يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا (108) يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا (109) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا (110) وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا } [طه: 105 - 111].

لن تجد تصويرًا لذلك المشهد العجيب الرهيب أبلغ من هذا التصوير، أرض جديدة تنشق عن المودعين فيها من لدن آدم عليه السلام، ممن كانت أطولهم ستون ذراعًا في السماء إلى من هم في مثل أطولنا إلى ما يكون من الخلق بعد ذلك، ومعهم الوحوش والعشار والدواب والطير والبهائم ومن شاء الله تعالى في مشهد مهيب ومسيرة عجيبة، يتجهون إلى الأرض التي سيحاكمون عليها ويقضى بينهم.

قال: وقوله - أي مما يدل إثبات البعث -: ﴿ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴾ [نوح: 17، 18]: هذا أيضًا موافق للآية الأولى ومطابق لها، فهذه الأرض منها أنبتنا الله، فإن جزئيات أبداننا ومكوناتنا مرجعها إلى عناصر الأرض المعروفة؛ فمنها نبتنا ونشأنا، إما عن طريق الغذاء الذي نتناوله أو عما يرضعه الطفل من والدته؛ فمرده إلى هذه الأرض التي أنبتنا الله تعالى منها، ثم تجري الإعادة.

قال: ﴿ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴾ [نوح: 18]: فالإعادة تكون بالموت والدفن، ثم الإخراج يكون يوم القيامة بعد النفخ في الصور.

إذن الله تعالى قد وُتِّ وَقَّتْ معلومًا لعمر هذه الدنيا وأخفاه عن العباد؛ فلا أحد يعلم متى الساعة، وقد أخبر الله تعالى بأنه لا يجليها لوقتها إلا هو: { قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ } [النمل: 65]. فكل من ادعى العلم بالساعة ونهاية العالم؛ فاعلموا أن دعواه باطلة، فإنه يخرج علينا بين الفينة والفينة دعوات تزعم أن القيامة وخراب العالم ونهاية الدنيا في تاريخ كذا وكذا، كلها دعاوى باطلة مردودة بنص القرآن، يجب تكذيبها وردّها على قائلها.

(١) صحيح البخاري (6521).

هذه المادة لم تراجع على الشيخ - حفظه الله -

قال: **وَبَعْدَ الْبَعْثِ مُحَاسِبُونَ وَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ**: إي والله، ما خلق الله تعالى هذه الخليفة عبثاً بل خلقها الله تعالى لحكمة، هذه الحكمة هي التي نص عليها قوله: { مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } [الذاريات: 56]. وقال منكرًا على من زعم عدم الحكمة أو غاب عنه ذلك أو لم يؤمن به: { أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ } [المؤمنون: 115]. لا يمكن أن يقيم الله -عز وجل- هذا البناء العالي وهذا الأرض الممهدة، وينشر فيها هذه الخلائق، ويث فيها رجالاً ونساءً لا لحكمة، الله ينزه عن هذا العبث بل ذلك لحكمة بالغة ولأجل ذا قال: **وَبَعْدَ الْبَعْثِ مُحَاسِبُونَ**.

لا بد من حساب، فحين يبعث الناس ويسيرون إلى أرض المحشر يطول بهم المقام، ينتظرون الفصل في يوم طويل جداً جداً، يلحقهم فيه من العنت والعناء الشيء العظيم إلا من خفف الله تعالى عنه ذلك، قال ربنا: { عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ } [المدثر: 10]. { فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكْرٍ } [القمر: 6]. { فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكْرٍ (6) خُشَعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ (7) مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمَ عَسِرٌ } [القمر: 6، 7، 8]. عيادًا بالله.

ففي ذلك الموقف يعرق الناس بعد أن تُدنى الشمس منهم قدر ميل، قال صلى الله عليه وسلم (تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ) قَالَ سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ فَوَ اللَّهُ مَا أَدْرَى مَا يَعْنِي بِالْمِيلِ أَمْسَافَةَ الْأَرْضِ أَمْ الْمِيلَ الَّذِي تُكْتَحَلُ بِهِ الْعَيْنُ. قَالَ (فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبِيهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ الْجَمَامًا) (١). قَالَ وَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ، وهذا من الغيب الذي يجب أن تؤمن به، ولا يجوز أن تعارض مثل هذه الأخبار الغيبية بالنظرات الفيزيائية، بأن يقول قائل: كيف يستقيم هذا والأرض مستوية منبسطة، وقانون الأواني المستطرقة عند أهل الفيزياء يمنع مثل هذا؟!، لا يجوز أن تقابل به النصوص، الذي أوجد هذه القوانين الطبيعية قادر على إبطالها، وخبر الله حق، وخبر نبيه -صلى الله عليه وسلم- حق، وهذه قاعدة يجب على الإنسان أن يعملها فيما بلغه وضح من كلام رب العالمين وكلام سيد المرسلين، ألا يقابله بمحض العقول بل يقابله بالقبول والتسليم، وأنه حق على حقيقته.

ثم بعد ذلك تنحفل الخلائق إلى أبينا آدم عليه السلام، قال صلى الله عليه وسلم (يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ (يُجْمَعُ النَّاسُ) الْأُولَى وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِيَ وَيَنْفِذُهُمُ الْبَصَرَ وَتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْعَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَلَا يَحْتَمِلُونَ فَيَقُولُ النَّاسُ أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَّغَكُمْ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ عَلَيْكُمْ بِآدَمَ فَيَأْتُونَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَقُولُونَ لَهُ أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَّغْنَا فَيَقُولُ آدَمُ إِنَّ رَبِّي

(١) صحيح مسلم (2864).

هذه المادة لم تراجع على الشيخ - حفظه الله -

قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ (وَلَا يَغْضَبُ) بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَإِنَّهُ قَدْ نَهَانِي عَنِ الشَّحْرَةِ
فَعَصَيْتُهُ نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ يَا نُوحُ إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى
أَهْلِ الْأَرْضِ وَقَدْ سَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ فَيَقُولُ إِنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ قَدْ
غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا عَلَى قَوْمِي نَفْسِي
نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ يَا إِبْرَاهِيمُ أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ
الْأَرْضِ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ فَيَقُولُ لَهُمْ إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ
وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَإِنِّي قَدْ كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلَاثَ كَذِبَاتٍ نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى
فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُونَ يَا مُوسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ فَصَلِّكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلامِهِ عَلَى النَّاسِ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى
إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ فَيَقُولُ إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ
نَفْسًا لَمْ أُوْمَرْ بِقَتْلِهَا نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُونَ يَا
عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوْحٌ مِنْهُ وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى
مَا نَحْنُ فِيهِ فَيَقُولُ عِيسَى إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ قَطُّ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَمَ يَذْكُرُ
ذَنْبًا نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَيَقُولُونَ يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتِمُ الْأَنْبِيَاءِ وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا
تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ فَأَقْعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحَسَنِ الثَّنَاءِ
عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي ثُمَّ يُقَالُ يَا مُحَمَّدُ اذْهَبْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهُ وَاشْفَعْ تُشْفَعُ فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ أُمَّتِي يَا
رَبِّ أُمَّتِي يَا رَبِّ أُمَّتِي يَا رَبِّ (١) وفي رواية ثم تلا: {عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا} [الإسراء: 79] قَالَ:
(وَهَذَا الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ الَّذِي وَعَدَهُ نَبِيُّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) (٢).

فلهذا كانت هذه الأمة السعيدة هي أول الأمم يقضى بينها يوم القيامة، كما قال في الحديث: (نَحْنُ الْأَخِرُونَ
الْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ) (٣) .

فيقع القضاء بين العباد، ويقع في ذلك اليوم أمور عظيمة مهولة، يحار العقل في التفكير بها: { وَيَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءِ
بِالْعَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا (25) الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا } [الفرقان: 25، 26].

(١) صحيح البخاري (4712).

(٢) البخاري (7440).

(٣) صحيح مسلم (855).

هذه المادة لم تراجع على الشيخ - حفظه الله -

فتنشق كل سماء كما في بعض الآثار، وينزل ملائكتها فيحيطون بأهل الأرض إحاطة السوار بالمعصم، فتنشق السماء التي بعدها فيحيطون بمن قبلهم حتى يكونون سبع حلق حول أهل الأرض. { يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّ اسْتِطْعَمْتُمْ أَنَّ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ } [الرحمن: 33].

يكون ذلك كالإرهاص والمقدمة لتنزل الرب - سبحانه وتعالى - ومجيئه لفصل القضاء بين العباد، فينزل ربنا نزولاً حقيقياً، ويجيء مجيئاً حقيقياً، ويأتي إتياناً حقيقياً على الوجه اللائق به - سبحانه - لا ندرك كيفية ذلك ولا نتخيله، لكن ثبت معناه حقاً وصدقاً، ونعلم ونصدق بخبر الله تعالى؛ فيجيء الرب للقضاء بين العباد يوم القيامة.

قال الشيخ - رحمه الله -: **وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾ [النجم: 31]:** إذن نتيجة الحساب الجزاء، والحساب قد ذكرنا لكم فيما مضى أنه على نوعين: حساب المؤمنين، وحساب الكافرين:

● **فأما حساب الكافرين :** فإنه ليس حساباً بمعنى الموازنة بين الحسنات والسيئات ؛ لأنه لا حسنات لهم: { وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا } [الفرقان: 23]. فليس في الكفة الأخرى شيء يوضع أصلاً؛ لأن الشرك لا تبقى معه حسنة، وإنما يقررون بذنوبهم، فيعترفون بها؛ إظهاراً للحق، ثم يؤمر بهم فيلقون في جهنم - عياداً بالله -.

● **وأما المؤمنون فإن حسابهم على ضربين: عرض ومناقشة:**

فالعرض: يكون لمن سبقت له من الله الحسنى، ممن أراد الله تعالى به خيراً، فإنه يدينه يوم القيامة ويضع عليه كنفه، ويقرره بذنوبه، أتذكر ذنب كذا يوم كذا؟ والعبد يقول: أي رب، أي رب. حتى يظن أنه قد هلك، فيقول الرب له: (إني قد سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم).

ما أسعده! ما أهناه! حينما يقرع سمعه - أسأل الله أن يجعلنا وإياكم منهم - ممن يقال له: (إني قد سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم). تلکم هي السعادة الحقيقية. فحينئذ يسعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً.

وأما المناقشة فإنها تكون في حق من أراد الله تعالى أن يعذبهم من عصاة الموحدين بقدر ذنوبهم، فإنه يدقق معهم في الحساب؛ لأنه يراد بهم أن يعذبوا، فحينئذ يعذبون بقدر ذنوبهم، ثم يكون ما لهم إلى الجنة، على تفاوت فيما بينهم.

ولهذا أخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - عن قوم يخرجون من النار، يقال لهم: الجهنميون. يُخرجون من النار ضبائر ضبائر قد امتحشوا، احترقوا وتفحموا، فيلقون في نهر في الجنة يقال له: نهر الحياة؛ فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل، يقرب الله جلودهم بعد أن كانت جلوداً محترقة مشويةً بالنار، وإذا بها تعود خلقتاً جديداً، فيدخلون الجنة.

إذن بعد المحاسبة المجازاة، والمجازاة إما في الجنة وإما في النار: {فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ} [الشورى: 7]. لستم الحكمة البالغة من هذه الخليقة، فالله تعالى ما خلق الدنيا عبثاً، وإنما خلقها لحكمة بالغة؛ ليعلم من يعبده ومن يعصيه، من يكون أهلاً لدار كرامته، ومن يكون أهلاً لدار عذابه ونقمته.